مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص - ص:58-83

نشاط الوطنيين العرب والمغاربة في برلين من خلال جريدة الجهاد (1915– 1918م)

The activity of Arab and Maghreb nationalists in Berlin through Al-Jihad newspaper (1915-1918)

د. مولود قرين(*)
جامعة الدكتور يحي فارس المدية (الجزائر)، moulodgrine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/ 08 **تاريخ القبول:** 2021/12/ 19 **تاريخ النشر:** 2022/05/ 11

الملخص

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على موضوع الدعاية الألمانية العثمانية في العالم العربي والإسلامي خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال دراسة وتحليل مضمون جريدة "الجهاد" التي كانت منبرا من منابر الدعاية الألمانية طيلة الحرب. واحتضنت مقالات النخب العربية والمغاربية التي وجدت في برلين مناخا ملائما لنشاطها الوطني والتحرري. لذلك ستحاول هذه الدراسة تحليل مضمون كتاباتهم، وتبرز أبعاد خطابهم الدعائي من جهة، والتحرري من جهة أخرى. ومن أبرز النتائج المتوصل إليها أن خطاب النخب العربية كان منسقاً وفق محاور الدعاية الألمانية العثماني خاصة فيما يتعلق بالدعوة إلى الجهاد المقدّس، ومحاولة إظهار بمظهر الصديق للعرب والمسلمين، وأن الحرب ستحرر المسلمين من الهيمنة الاستعمارية.

الكلمات الدالة: جريدة الجهاد؛ الوطنيون العرب؛ الحرب العالمية الأولى؛ الدعاية الألمانية العثمانية.

Abstrac:

This study came to analyze the content of the Ottoman German propaganda in and the Islamic during the First World War, through the newspaper "Al-Jihad", which embraced the articles of the Arab and Maghreb elites in Berlin. Among the most prominent results reached is that the discourse of the Arab elites was coordinated according to the axes of the Ottoman German propaganda, especially with regard to the call to holy jihad, and an attempt to appear as a friend to Arabs and Muslims, and that the war would liberate Muslims from colonial domination.

Keywords: Al-Jihad Newspaper; The Arab Nationalists; World War I; German-Ottoman propaganda.

* **المؤلف المرسل.**

1. مقدمة:

حاولت ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م) في إطار تحالفها مع الدولة العثمانية، استقطاب الوطنيين العرب والمغاربية خاصة والمسلمين بصفة عامة إلى برلين، وذلك بهدف توظيفهم لصالح الدعاية الألمانية – العثمانية خلال الحرب، خاصة بين المسلمين الأسرى في معسكر الهلال الألماني، الذين كانت تهدف إلى تحضيرهم ودمجهم في صفوف القوات العثمانية، أو إرجاعهم إلى بلدانهم (المستعمرات) وتزويدهم بالسلاح حتى يقوموا بثورات ضد فرنسا وإنجلترا. والظاهر أنه لا يمكن فهم دور هؤلاء الوطنيين وجهودهم في برلين إلا بالرجوع إلى مختلف أدبياتهم المتمثلة أساساً في المنشورات، والمطبوعات، والمحاضرات التي كانوا يلقونها أمام أسرى الحرب في برلين، ولعلّ أهم منبر أتاحته حكومة الرايخ الألمانية لهؤلاء الوطنيين هي جريدة "الجهاد" ذات اللسان العربي، فإلى جانب تضمنها لأخبار الحرب بما يخدم المشروع الألماني–العثماني، فقد تضمنت كذلك خطب ومحاضرات الوطنيين العرب والمغاربة في برلين وتتبعت مختلف نشاطاتهم، لذلك ستحاول هذه الدراسة رصد نشاطهم في ألمانيا من خلال جريدة "الجهاد" وإبراز طبيعة خطابهم الدعائي، وتقييم نتائجه.

وقبل دراسة مضمون خطابهم، بودنا أن نعرف ولو باختصار، بموضوع الدعاية الألمانية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ومحاولة ألمانيا الاهتمام بأسرى الحرب، وتأسيسها لجريدة الجهاد، ونعرف بأشهر الوطنيين الذين استقدمتهم إلى برلين.

2. الدعاية الألمانية– العثمانية ومحاولة استقطاب العالم الإسلامي:

راهت ألمانيا والدولة العثمانية في حربها ضد دول الوفاق الودي خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) على استقطاب العالم الإسلامي، خاصة المشرق العربي وشمال إفريقيا، بواسطة دعاية واسعة النطاق، وظّفت فيها الإسلام ورموزه بشكل كبير جداً. فاستندت الدعاية الألمانية إلى دراسات مستشرقين مختصين في شؤون العالم العربي والإسلامي، في مقدمتهم المستشرق وعالم الأثار الألماني "ماكس فون أوبنهايم"(**Max Von Oppenheim**)[1] الذي يعتبر صاحب فكرة استغلال "الجهاد الإسلامي" لصالح ألمانيا، لذلك أطلق عليه لقب

"الآب الروحي للجهاد الإسلامي"، أو "لورانس القيصر" تشبهاً "بلورانس العرب"، في حين وصفته التقارير البريطانية "بجاسوس القيصر". لقد استحسنت ألمانيا أفكار "أوبنهايم" وقرّبه إليه الإمبراطور الألماني "وليام الثاني"(1888- 1918م) **Guillaume II** فكان من وراء الخطاب الشهير الذي ألقاه هذا الأخير في "دمشق" عام 1898م، وأعلن فيه عن صداقته للمسلمين في العالم وخليفته السلطان عبد الحميد الثاني" (1876-1909م). وفي سنة 1905 وزّع في بيروت رسم لإمبراطور ألمانيا يظهر فيه رأسه وسط الهلال الإسلامي، هذا ما جعل المسلمون يعتقدون أن ألمانيا صديقة للإسلام والمسلمين، وأنها عكس الدول الاستعمارية الأخرى، وهي تعمل جاهدة من أجل تحرير الشعوب الإسلامية من ربقة الاستعمار[2] .

وبعد اندلاع الحرب تقدم "أوبنهايم" في أوت 1914م بمذكرتين إلى رئيس وزراء ألمانيا "بتمان هولفيغ" (**Bethmann Hollweg**)، ومذكرة ثالثة في مطلع أكتوبر 1914م، بعنوان: "تثوير المناطق الإسلامية الخاضعة لبلداننا"[3]، إذ تعتبر المذكرة الأخيرة التي جاءت في 136 صفحة هي الأهم، حيث حددت بدقة كيفية استغلال الجهاد وصفة السلطان العثماني لنشر الدعاية باسمه، فحسب ما جاء في هذه المذكرة أن أول خطوة على ألمانيا أن تأخذها هي إثارة العالم الإسلامي ضد أعدائها، وأن الهدف المركزي لألمانيا هو جعل الإسلام سلاحاً يخدم المصالح الألمانية، فيقول "أوبنهايم" في ذلك: "...إن الإسلام سوف يكون أهم أسلحتنا على الإطلاق...لقد تمكّنا من فرش الأرضية لثورة إسلامية عامة، وأن إمبراطور ألمانيا قد أدرك منذ الوهلة الأولى أهمية هذه اللحظة التي يمكن من خلالها الاستفادة من الشعوب الإسلامية، بعدما ثبتت في نظر المسلمين إجلاله للإسلام، وأظهر لأتباع هذا الدين المودة والمساعدة ... إن عشرين سنة من الإقامة في الشرق تجعلني مقتنعاً بأن جلالة الإمبراطور يحظى في كل العالم الإسلامي على الاحترام والتبجيل من أعماق القلوب..."[4].

كما أكدت مذكرة "أوبنهايم" على ضرورة إثارة الثورات في مناطق نفوذ دول التحالف الودي خاصة البريطانية في مصر والهند، والفرنسية في شمال إفريقيا، وأشارت على استغلال موسم الحج لنشر الدعاية بين كل المسلمين وتحريضهم ضد الأعداء[5]. لقت هذه الأفكار

استحسان الكثير من العسكريين والاستراتيجيين الألمان من بينهم الجنرال "فرديريك فون بيرناردي" الذي اعتبر أن إشراك السكان ودفعهم إلى التمرّد ضد الأعداء عامل مهم في الحرب، ولقيت دعماً كذلك من زملائه المستشرقين مثل "مارتن هاتمان"(**M. Hatmann**) المدّرس بالمعهد الاستعماري بهمبورغ، فكان يشيد بالتحالف العثماني الألماني والخلافة العثمانية، ويعتبر الجهاد إلى جانبها جهادا مقدّسا واجب على كل المسلمين بما فيهم غير الخاضعين لسيطرة الخلافة العثمانية[6].

ومما لا شك فيه أن أفكار "أبنهايم" و"هاتمان" قد أثرت في استراتيجية الدولة العثمانية التي أدركت بعد إعلانها دخول الحرب إلى جانب ألمانيا أهمية العاطفة الدينية في التأثير على شعوب العالم الإسلامي واستقطابهم إلى صفها، لذلك لجأت إلى توظيف "الدعوة إلى الجهاد"، ففي 07 نوفمبر 1914م دعا السلطان العثماني "مُحَمَّد رشاد الخامس" (1909- 1918م) المسلمين إلى الجهاد ، بعد الاعتداء الروسي على الأسطول العثماني، ومبادرة كل من فرنسا وبريطانيا إلى سحب سفرائها من الدولة العثمانية، لذلك توجب ردُّ الاعتداء، والدفاع عن الحقوق، وأعلن عمّا يعرف "بالنفير العام"[7].

يبدو أن هذه الدعوة (النفير العام) كانت تمهيدا، وتحضيرا نفسيا لإصدار "فتوى شرعية" (الفتوى الشريفة) التي حرّرها يوم 14 نوفمبر شيخ الإسلام "خيري بن عون الأركوبي"، والتي اعتبرت أن مهاجمة الأعداء للديار الإسلامية يفرض على المسلمين جميعاً الجهاد[8].

3. معسكر الهلال وإنشاء جريدة الجهاد:

لم تقتصر الدعاية الألمانية – العثمانية على شعوب مستعمرات دول الوفاق، بل شملت كذلك المجندين المسلمين في صفوف قواتها، وركزت بشكل كبير على الجنود المسلمين الذين وقعوا أسرى لدى الألمان في الجبهات الأوروبية، فبنت لهم معسكرات أسر خاصة، أهمها معسكر "الهلال" (**Halbmondager**) بالزوسن في برلين، الذي أسس في أوت 1915م. ويبدو أن اسم "الهلال" لم يكن اسما اعتباطيا، نظرا لما تمثله رمزية الهلال في وجدان

المسلمين، قد عني الأسرى المسلمون في معسكر "الهلال" بمعاملة خاصة، حيث بُنيَ لهم حمّام على الطّراز الشّرقي، ومساكنٌ من خشب، وكانوا يخضعون دورياً لفحوصات طبية، وأمدّوهم بثلاثة ألاف مصحف ليتمكّنوا من تلاوة القرآن، وراعوا أكلهم الحلال، وبلغت العناية بهم إلى درجة أن بنوا لهم مسجداً للصلاة أقيمت فيه أول صلاة في أول رمضان 1334هـ (13جويلية 1915م) في حفل بهيج حضره نواب عن الحكومتين الألمانية والعثمانية[9]، ووفروا لهم أماكن للقراءة والمطالعة، وسخّرت لهم معلمين لتعليمهم اللغة الألمانية[10].

أسندت قيادته لضابطين ألمانيين يحسنان اللغة العربية، وهما "فون هادلان" (**Von Hadlen**)، والنقيب "مانتز" (**Mentz**)، وهو قنصل سابق بالمغرب الأقصى[11]. وأنشأوا لهم عدة جرائد ومجّلات فتحت صفحاتها للأسرى حتى يكتبوا معاناتهم ضمن جيوش الأعداء، وبذلك يصبحون أنفسهم يرجون لسياسة ألمانيا بين بني جلدتهم من المسلمين مثل مجلة "عالم الإسلام"، ومجلة "العدل"، ودورية "دار الإسلام" باللغة العربية، وجريدة "الواجب" (**Le Devoire**) باللغة الفرنسية، والتي كانت موجهة على ما يبدو للمثقفين المسلمين الذين يقرأون إلا بالفرنسية، وكانت تروج بأن ألمانيا صديقة الإسلام والمسلمين عكس فرنسا وبريطانيا الاستعماريتين[12].

ولعل أشهر جريدة أنشأت لهم هي جريدة "الجهاد"، وهي جريدة نصف شهرية تظهر كل يوم جمعة، استمرت في الصدور طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى، فظهر عددها الأول يوم 5 مارس 1915م، وعددها الأخير يوم 11 أكتوبر 1918م بعد أن صدر منها 83 عددا. ولم تصدر في شهر سبتمبر من سنة 1915م. وقد كتب في كل أعدادها تحت العنوان الكبير "الجهاد" (**El Dshihad**) عبارة: "جريدة أسبوعية تخدم المسلمين الذين قاتلوا مع أعدائهم جبرا ضد محبيهم الألمان". وكشفت في عددها الأول عن مقاصدها، والمتمثل، حسبها، في تنوير أفكار الأسرى واطلاعهم على أخبار الحرب، وذلك لأن الأعداء حاصروا ألمانيا إعلاميا، وحاولوا تغليط الرأي العام بمعلومات مغلوطة عن أسباب ومجريات الحرب[13].

لم تخف الحكومة الألمانية أهداف الجريدة الدعائية، سيما في وصفها لدول الوفاق بأعداء ألمانيا والمسلمين، و "أن الدولة الألمانية هي الدولة الوحيدة التي تحافظ على استقلال الأمم الضعيفة، لهذا كله أضرم الأعداء نار هذه الحرب القائمة وتسببوا في إزهاق الدماء البريئة، وألمانيا تقصد بهذه الحرب الدفاع عن شرفها الذي أراد الأعداء سلبه، وتبغي أيضاً ارجاع السعادة إلى البلاد الإسلامية والمسلمين بعد أن سلبها الأعداء منهم زمناً طويلاً"[14].

وفي عددها الأول ناشدت الحكومة الألمانية أسرى الحرب أن يدونوا مأساتهم في جبهات القتال من جهة، وأن يبينوا للرأي العام الإسلامي المعاملة الحسنة التي قابلتهم بها ألمانيا في معسكرات الأسر من جهة أخرى، حيث كتبت: "إننا نطلب منكم أيها الإخوان أن تظهروا وتوضحوا أفكاركم بالكتابة في هذه الجريدة، فتخبرون بما حدث لكم مع أعدائكم وأصدقائكم إلى الآن، وكذلك تخبرون عمّا أصابكم من المصائب التي نزلت بكم وأبعدتكم عن بلادكم المحبوبة ..."[15].

فكانت من خلال الجريدة كثيرة التنويه بأن الحرب ستعود على المسلمين بالنفع، فكتبت نقلا عن جريدة "الاتحاد الإسلامي" الصادرة ببلاد الشام: "...أن هذه الحرب ستعود على المسلمين بالخير والبركة، فإن المسلمين بعدما كانوا يأنون تحت نير الظلم والجهالة سيصبحون مترعرعين في بحبوحة العلم والحرية بأقرب وقت، فيرعشون الأعداء بعلمهم ومدنيتهم، ويظهرون للملأ مدينة جديدة تكون نبراساً للعالم كما كانت مدينتهم الغابرة..."[16].

كما وظفت الجهاد لإقناع أسرى الحرب بضرورة الانضمام إلى الجيش العثماني، فراهنت على العاطفة الدينية كما سنرى لاحقاً، وكذلك الاغراء، وهذا ما يوضحه منشور السلطان العثماني "مُحَمَّد الخامس"، الذي جاء فيه "الأسرى المسلمون الذين يريدون الذهاب إلى دار الخلافة العلية للاشتراك مع إخوانهم المسلمين في الجهاد المقدس إذا أرادوا البقاء في الممالك العثمانية بعد انتهاء الحرب فإن الدولة العثمانية تعطيهم أرضاً في الأماكن التي تناسبهم وتعاونهم المعاونة التامة إذا أرادوا بناء مساكن لهم وتسهل عليهم طرق المعاش والكسب وتعطي للزراع منهم ما يحتاجه من آلات الزراعة وحيوانات الحرث"[17].

تتكون جريدة الجهاد من ثلاثة صفحات، في الصفحة الأولى مقالة لأحد العلماء أو الوطنيين العرب، أو تلخيصاً لخطبة ألقاها أمام أسرى الحرب، وفي الصفحتين الثانية والثالثة أخبار عن الحرب في أوروبا أو في آسيا يغلب عليها الطابع الدعائي لصالح ألمانيا، فكانت الأخبار تركز على انتصارات ألمانيا والأتراك وعلاقة ألمانيا الطيبة مع الأسرى، وتركز على هزائم الوفاق وجرائمهم في المستعمرات في العالم الإسلامي[18].

والملاحظ على الجريدة أن أعداد السنتين (1915م- 1917) كانت تتضمن مقالات لرواد الدعاية في العالم العربي، ولكن أعداد 1917م و 1918م كانت تنقل مقالات عن جرائد تركية وعربية مثل جريدة "الاتحاد الإسلامي" ببلاد الشام، وجريدة العدل التركية، وغيرها من الجرائد الأخرى.

4. نظرة مقتضبة حول نشاط الوطنيين العرب والمغاربة في برلين:

اعتمدت كل من الدولة العثمانية وألمانيا على نشر دعايتها بين المسلمين على الوطنيين المغاربة والعرب، وأغلب المتولين للنشاط الدعائي سواء في الأستانة أو برلين كانوا من المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية والمروجين لها، أو كانوا من العائلات النافذة التي تحضى بسمعة طيبة بين أهالها، ولها القدرة على تعبئتها لصالح ألمانيا والدولة العثمانية. ففي برلين وفّر لهم المناخ الملائم للنشاط، فأسسوا الصحف، والجمعيات والنوادي بهدف التحضير للقيام بالانتفاضات والثورات في بلدانهم المستعمرة[19].

لقد لمعت عديد الأسماء العربية والمغاربية في برلين غير أننا سنقتصر في هذه اللمحة المختصرة عن أهم الشخصيات التي تمحور نشاطها في معسكر الهلال، وكانت من وراء تأسيس جريدة الجهاد، ولعلّ أشهرهم "مُحَمَّد الخضر حسين" (1876- 1958م)[20] الذي نفي من تونس على إثر حوادث الترامواي سنة 1912م، واستقر في دمشق، ثم انتقل إلى الاستانة، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى كلّفته الحكومة التركية بالقيام بالدعاية بين المغاربة، ثم أرسل إلى ألمانيا حيث مكث بها بضعة أشهر، كان يلقي خلالها المحاضرات والخطب أمام أسرى الحرب في معسكر الهلال ويحرر المنشورات ، ثم عاد إلى الشام[21]، غير أنه لم تطل مدته ليعود

إلى برلين مستقراً بها إلى غاية نهاية الحرب سنة 1918م[22]، وصفته إحدى التقارير الألمانية: بأنه " شاب قوي وذكي وشجاع وطيب ويعرف الكثير من الأسرى وبعض عائلاتهم شخصيا"[23].

ومن بين أشهر من اعتمدت عليهم ألمانيا في نشر دعايتها "الشيخ صالح شريف التونسي" (1869-1920)[24] ، صاحب الكتاب الشهير "حقيقة الجهاد" الذي ألفه سنة 1915م وترجم إلى العربية من طرف المستشرقين الألمانيين: (**Karl Schabanger VonSchowingen**) و (**Martin Hartmann**)[25] .

وصل الشيخ صالح الشريف إلى برلين أواخر 1914م، وعند وصوله اتصل بالجبهة الغربية للحرب بهدف الدعاية لصالح ألمانيا والدولة العثمانية، وإقناع المجندين المسلمين خاصة المغاربة في صفوف جيوش دول الوفاق بالفرار، ولأجل ذلك ألف الكثير من المنشورات والكتيبات باللغة العربية نشرت بين المجندين في الجبهة الغربية للحرب[26].

وكان للشيخ "شريف صالح" دور كبير في الترويج لفكرة الجهاد بين الأسرى المسلمين في معسكر الهلال، فكان يلقي الخطب الحماسية، ويوزع بينهم المنشورات، ولعب دورا كبيرا في تأسيس جريدة "الجهاد"، ويذكر المؤرخ "بيتر. هين" (**P. Heine**) أن "صالح الشريف كتب فيها العديد من المقالات[27]، غير أننا وجدنا له مقالا واحدا فقط بعنوان: " فرنسا وذهب المرّاكشيين" نشرت في العدد 16 يوم 31 أوت 1915م.

كلّلت جهوده بين الوطنيين المغاربة خاصة في برلين وسويسرا بتأسيس "لجنة استقلال الجزائر وتونس" في برلين يوم 7 جانفي 1916م رفقة "إسماعيل الصفائحي" و"مُحَمَّد مزيان التلمساني"، و كانت تضم بعض الجزائريين وخاصة منهم المنحدرين من بني ميزاب[28]، وتمثلت مهمتها في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية، تحرض من خلالها المغاربة على تنسيق الجهود فيما بينهم وإعلان الثورة ضد الاستعمار الفرنسي[29].

وفي برلين كذلك نشط الشيخ "عبد العزيز جاويش" (1876- 1929م) المعروف بتعاطفه مع الدولة العثمانية وحقده الشديد على الاستعمار الإنجليزي في مصر، وعند اندلاع

الحرب العالمية الأولى اعتقد بأنها فرصة للمسلمين للتحرر من الاستعمار، لذلك اتصل بالسفارة الألمانية في الاستانة في بداية الحرب، وسافر إلى برلين سنة 1915م، وعمل إلى جانب بعض الوطنيين المصريين[30] على تقديم النصح لألمانيا في موضوع دعايتها في العالم الإسلامي[31].

وإلى جانب مشاركته في تأسيس جريدة الجهاد وكتاباته الكثيرة فيها، فإنه ساهم إلى جانب "مُحَمَّد فريد" في تأسيس جمعية الاتحاد الإسلامي، وأصدر سنة 1916م مجلة "العالم الإسلامي"[32] الشهيرة الناطقة باللغة العربية والتي كانت تهدف إلى تعريف الألمان بالعالم الإسلامي، وتعزيز علاقة ألمانيا بالدولة العثمانية والعالم الإسلامي[33].

وقد لمع كذلك اسم "الأمير علي الجزائري بن الأمير عبد القادر (1859- 1918م)" الذي رقيّ خلال في بداية الحرب العالمية الأولى من نائب على دمشق إلى نائب رئيس المجلس الوطني العثماني. وقد ورد في كتاب "تاريخ طيب الذكر" أن الحكومة الألمانية طلبت من الحكومة العثمانية ضرورة أيجاد رجلٍ قادر على التأثير على المغاربة والجزائريين، فوجدت الرجل المناسب لذلك هو "الأمير على" الذي أخذ المهمة بعزم وحزم شديد[34]. فسافر إلى برلين، حيث استقبل استقبالاً حافلاً من طرف العلماء والشعراء والسياسيين الألمان والخطباء. وفي برلين زار الأسرى المسلمين في "معسكر الهلال"، فتأثروا أيما تأثير لزيارته، وألقى فيهم خطاباً مؤثرا وصف فيه دسائس الفرنسيين وخدعهم، وسياستهم القائمة على تفتيت العالم الإسلامي، وأطلعهم على فتوى شيخ الإسلام الداعية إلى وجوب الجهاد ضد أعداء الخليفة وأصدقائه، كما بين لهم أن الدولة الألمانية والنمساوية متحالفتان مع دولة الخلافة والجيوش الإسلامية، وأن الإمبراطور الألماني هو حليف المسلمين وصديقهم[35].

لقد أتى الخطاب أكله، إذ أعرب الأسرى المسلمون عن عدم سماعهم بالفتوى، وأنهم مستعدون للجهاد إلى جانب خليفة المسلمين، فردّ عليهم الأمير علي قائلاً: " أن واجبنا مقدساً أن هذا الواجب سيدعوكم في الآتي القريب إلى القتال في أرض غير هذه الأرض وسماء غير هذه السماء"، ولما سألوه عن الأرض والسماء، أجاب: "هي أرض الوطن وسماؤه"[36].

5.محاور ومضامين الدعاية من خلال "الجهاد":

5. 1 الدعوة إلى الجهاد:

تميزت أغلب كتابات الوطنيين العرب والمغاربة بالدعوة الصريحة إلى الجهاد، وهذا ما نلمسه في محاضرة "لعبد العزيز جاويش" بعنوان: "مستقبل الإسلام"، إذ دعا المسلمين كافة إلى وجوب الاستجابة لنداء الخليفة العثماني، ومما قاله: "... إن المسلمين يعرفون من أحكام قرآنهم العظيم أنه يجب عليهم النفير متى استنفروا للقتال سواء كان الداعي لهم هو خليفتهم أو طائفة من إخوانهم المضطهدين في البلاد الأخرى وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين))، كما أن المسلم يعرف حكم القرآن في وجوب طاعة الخليفة إذا دعا للجهاد وامتثال أمره الذي هو من أمر الله ..."[37].

ومادام المسلمون غير قادرين على حمل لواء الجهاد بأنفسهم وعلى محاربة العدو، فيجب عليهم التربص و التجند في صفوف غير المسلمين فيقول: " ...لذلك كان للمسلم أن يحارب في صفوف غير المسلمين إذا كان في ذلك إضعاف احدى الأمم الباغية المعتدية على الإسلام كما يفعل أهل البوسنة والهرسك من المسلمين إذ يحاربون اليوم في الصفوف النمسوية تلك الدولة الطاغية الباغية دولة الرّوس"[38].

وفي محاضرة ألقاها أحد المسلمين على أسرى الحرب نشرتها جريدة الجهاد دون أن تفصح عن اسمه قال فيها: "إني أقول لكم أن الزمان قد أسعدنا وكأن الله سبحانه وتعالى أراد بنا وبدارنا وبلاد الإسلام خيرا وكأنه شاء أن يرجع للإسلام مجده وعزه السّالف فأجج نار هذه الحرب الضروس ليشغل بها أعداءنا حتى نأخذ عدّتنا ونتأهب لاسترجاع بلادنا ومن منّه وكرمه تعالى أن جعل أعداء الإسلام أعداء للدولتين العظيمتين دولة ألمانيا والنمسا صديقتي الإسلام والمسلمين فقد واسانا الزمان بهذه الفرصة العظيمة فإن نحن أضعناها وادم رسفنا في قيود الذلة والاستعباد[39]".

2.5 ألمانيا صديقة الإسلام والمسلمين:

ركز كتّاب جريدة الجهاد على الترويج لفكرة أن ألمانيا هي صديقة للإسلام والمسلمين، وأن هدفها الأسمى من هذه الحرب هو تخليص الشعوب المسضعفة من ربقة الاستعمار، وهذا ما نلاحظه في مقالة لأحد الكتاب يدعى "مأمون أبو الفضل المدني"، الذي قال: أن "....هذه الدولة العظيمة تسعى جهدها مع الدولة العثمانية لقهر أعداء الإسلام والمسلمين، أعني لقهر الإنجليز والفرنسويين والرّوس الذين كادوا أن يقضوا على العالم الإسلامي قضاء مبرما لولا أن قيض الله سبحانه وتعالى الدولة العظيمة الألمانية فجاءت لانتشال الأمم الإسلامية وانقاضها ....فمن الواجب على كل مسلم يقول لا إله إلا الله مُحَمَّدا رسول الله أن يسعى جهده في تحرير نفسه وبلاده ودينه من ذلك الاستبداد الذي قيده بقيوده الفجرة من الإنجليز والرّوس والفرنسويين وأن يشكر الدولة الألمانية الساعية أيضاً في الأخذ بيده وأن يعضد ويساعد الدولة العثمانية التي هي كآب لكافة المسلمين وكعبتهم التي يأوون إليها. يجب علينا جميعاً أن نجّد ونسعى في إهلاك الذين استعبدونا وسلبونا بلادنا قروناً ويريدون القضاء على ديننا يجب علينا ذلك حتى نعيد للإسلام مجده الأول وقوته السالفة ..."[40].

أما الشيخ مُحَمَّد الخضر حسين فإنه يرى أن الدولة الألمانية لم تتلطخ يداها باستعمار الشعوب الإسلامية، وأن مصلحة المسلمين تقتضي الوقوف في صفها، لذا من الواجب عليهم معاضدتها، ويقول في ذلك: "...أولا أن الدولة الألمانية لم تهزها المطامع فيما سبق للاعتداء ولو على شبر من ممالك الدولة العثمانية مثل ما صنعت الدول المحاربة وقد أصبحت مصلحتنا تتحد مع مصلحتها فهي الأمة التي يحق لنا أن نثق بعهودها ونمكن بيننا وبينها روابط الاتحاد والمحالفة ويكفي شاهد على حسن معاملتها للإسلام أن تحافظ على استقلال دولة الخلافة وتساعدها على أن يعيش المسلمون تحت رايتها المظفرة وما ذلك على الله بعزيز[41].

وفي خطبة ألقاها أمام أسرى الحرب في 03 جولية 1915 تحت عنوان "اتحادنا مع ألمانيا"، نشرت جريدة الجهاد نصها، أكد فيها أن عدم قدرة الدولة العثمانية على محاربة الأعداء جعلها تتحالف مع ألمانيا، ولماذا ألمانيا بالذات؟ يجيب الخضر: "وإذا حققنا النظر نجد

أنه لا يصلح لدولة إسلامية أن تحالف إنجلترا فإنها انتزعت منها القطر المصري واغتالته اغتيالا وامتدت أطماعها إلى أطراف جزيرة العرب لتعبث بقلوب البسطاء من أهلها حتى تدخل الحرمين الشريفين في قبضة يدها . ولا يليق بدولة إسلامية أن تحالف فرنسا فإنها اغتصبت منها بلاد تونس والجزائر ثم أخذت ترسل شياطينها إلى سوريا ليستهوون الناس إلى حب فرنسا وسياستها ويحيون خفاف الأحلام منهم إلى الدخول في حوزتها ولا يصلح لدولة إسلامية أن تحالف روسيا فإنها طالما حرّكت الفتن وشنت الغارات على قسم عظيم من ممالك اليمن وهي التي وضعت نصب أعينها الاستلاء على مقر الخلافة الإسلامية ...ولا يحق لدولة إسلامية أن تحالف إيطاليا لأنها فصلت بلاد المسلمين ..... وإنما يوافق دولة الخلافة ويساعدها على إعادة ما سلبه منها الأعداء أن تضع يدها في يد الدولة الألمانية ويربطان بينهما محالفة وثقى فإن التحالف بيننا وبين هذه الدولة الأمينة يمكن انعقاده بسهولة وتصح إقامته على وجه يحفظ حياة الأمتين ...نحالف الدولة الألمانية لأن لسان التاريخ الحاضر والماضي يشهد بأنها أمة ترعى العهود وتحفظ حقوق المحالفين فلا تتلاعب بالمحالفات (هكذا) والمعاهدات كما يصنع غيرها من الدول المحاربة. نحالف الدولة الألمانية لأنها أقوى دعائماً وأعرف بفنون الحرب والسياسة من بقية الدول الكبيرة ...."[42].

وهذا ما أكده كذلك "عبد العزيز جاويش"، الذي يعتقد أن مصلحة المسلمين تقتضي التحالف مع ألمانيا، والتحالف مع غير المسلمين جائز شرعاً في منظوره، ويقول في ذلك: "....من المعلوم أنه ما حاولت أمة الاستقلال إلا واتخذت لها من الخارج ملجأ وظهيراً ففي التاريخ القديم نجد رسولنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلّم كان يعرض نفسه في الأسواق على رؤس (هكذا) القبائل ليحموه من عدوان المعتدين عليه وإن خالفهم في عقيدتهم وعبد غير آلهتهم كما أن المسلمين حال قلتهم وضعفهم كانوا يلجأون بأمر الرسول إلى بلاد الحبشة ليسلموا من شرّ المعتدين عليهم في بلادهم..."[43].

لم يكتف هؤلاء الكتاب بالدعوة إلى وجوب التحالف مع ألمانيا فقط، بل راحوا يعددون محاسنها اتجاها المسلمين، خاصة اتجاه الأسرى، وهذا ما نلمسه في الخطاب الذي ألقاه السيد

"مأمون أبو الفضل المدني" أما أسرى الهلال، ونقلته جريدة "الجهاد": "إني أشكر الله تعالى على معاملة الدولة الألمانية لكم معاملة الكريم لضيفه العزيز"[44].

أما الشيخ "الخضر حسين" فقد أشاد بمعاملة ألمانيا للأسرى المسلمين، خاصة بعد أن أقدمت على بناء مسجد خاص بهم، وهذا ما يجعلها عكس الدول الاستعمارية التي انتهكت مقدسات المسلمين وعملت جاهدة على القضاء على مختلف مؤسساتهم الدينية، فيقول: "... فمن الشواهد الحاضرة احسانها في معاملة هؤلاء الطوائف من المسلمين فإنها لم تقتصر في وصفها الجميل على القيام بمطالب حياتهم الجسمية بل أنها صرفت جهدها في ترقية حياتهم الأدبية ومحافظتهم على الواجبات الدينية، ومن مساعيها الحسنة إنشاؤها لهذا الجامع السعيد. هذا الجامع إن شغل قطعة صغيرة من أرض الدولة الألمانية فإنه سيأخذ لها من قلوب رجالنا الناهضين مواقع هي أضعاف مساحته فيزيد عواطفها قوة وآمالها اتساعاً ....وإذا تذكر إخواننا الجزائريون أن فرنسا قد افتكت منهم جامع الباي صالح بمدينة قسنطينة واستولت على الجامع الكبير بمدينة عنّابة فاتخذته مقراً لعساكرها أدركوا الفرق بين الدولة التي تقيم لهم في بلادها معبداً جميلاً والدولة التي تريد القضاء على الإسلام ومعابده ...."[45].

وكتبت جريدة "الجهاد" أن من رأى أعمال الألمانيين للمسلمين الذين أسروهم من جيوش الأعداء وما يقومون به من أفعال لإنقاذهم "لا شك أن قلبه يختلج سروراً وفرحاً، فقد بنوا لهم مسجداً ورتبوا لهم حفلات لإلقاء المحاضرات، وأصدروا لهم صحفاً بلغاتهم ليقفوا على أحوال العالم لتستنير أفكارهم حتى إذا رجعوا إلى بلادهم سعوا لإنقاذ إخوانهم الذين يعشون في ظلمات الجهل"[46].

3.5 فضح السياسة الاستعمارية لدول الوفاق:

حاول كتّاب جريدة الجهاد أن يبرزوا فضائع دول الوفاق الاستعمارية خاصة في البلاد الإسلامية، وذلك حتى يدرك المسلمون الفرق بين ألمانيا والقوى الاستعمارية، ويقتنعوا بضرورة الوقوف إلى صفها، وهذا ما نلاحظه في مختلف كتابات وخطب الشيخ "مُحَمَّد الخضر"، الذي يرى أن كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا وإيطاليا تريد من المسلمين أن يكونوا عبيدا لها، حيث

قررت هذه الدول أن تمحو دولة الخلافة من وجه الأرض، وأن تطفئ نار الإسلام من جميع البلاد. تسلطت كل واحدة من تلك الدول على قطعة أو قطع من ممالك الإسلام فظلت تعبث بحقوقها الدينية والوطنية وأهلها يبصرون. "لقد شاهدتم بأعينكم ماذا تفعل فرنسا في تونس والجزائر من المظالم التي تصبها على رؤوسنا صبا مستمرا ... ويكفي مثالا أن أسوقه إليكم اليوم إنها تأخذ المسلمين وتوقفهم أمام جنودها ليقاتلوا إخوانهم في اللغة والعنصر والدين ..."[47]

وفي خطبة ألقاها أمام الأسرى المسلمين شرح فيها ممارسات فرنسا وسياستها الثقافية في كل من الجزائر وتونس، حيث قال: "... قد قبضت الحكومة الفرنسوية على زمام التعليم في تلك البلاد فأصبحت تضع العثرات والعراقيل في سبيل انتشار العلوم على اختلاف أنواعها وأشكالها بحيث لا يستفيد التونسي أو الجزائري من مدارس وطنه سوى اللسان الفرنسي وتاريخ الأمة الفرنسوية ولطالما طلب الجزائريون إقامة مدارس أهلية ينفقون عليها من أموالهم فلم تأذن لهم ولا بواحدة .... عرفت فرنسا أن اللغة العربية هي الباب الذي يدخل منه المسلمون إلى معرفة الدين وأدابه ويطّلعون بواسطته على أخبار آبائهم وسيادتهم التي رفعوا أسماءها بالسيوف والأقلام فجعلت أمانة هذه اللغة من أول وسائلها التي وضعتها لقتل همم الشعوب وإطفاء شعورهم حتى لا ينتبهوا أنهم من سلالة أولئك الرجال الذين لا يليق بسمعة آبائهم أن يعيشوا تحت سيطرة وضع لا يرى لهم حرمة في نفس أو مال أو دين ...."[48].

وهذا ما أكده كذلك "عبد العزيز جاوييش" قائلاً : " ...إن الدول المعتدية على البلاد الإسلامية قد عرفت هذه الروح السامية في العالم الإسلامي وتحققت أن في طبيعة دينه وتعاليم قرآنه ما يحمل المسلم أن يعيش حراً أو يموت شريفاً فكان من أول أعمال تلك الدول تجريد من المسلمين من السلاح وحرمانهم من التعليم الرّاقي لقد رأينا الإنجليز في مصر لا يبيحون السلاح إلا لغير المسلمين، كما أسسوا في السودان نادياً للرياضات البدنية والتمرينات العسكرية ولكن لا يقبلون فيه أحدا من المسلمين. وهكذا تفعل فرنسا وروسيا فيما استولوا عليه من الممالك الإسلامية..."[49].

أما السيد "حسن فهمي" مبعوث المفتي العثماني "عون الأركوبي" فقد ألقى خطبة عيد الفطر في مسجد الزوسن بالهلال، لم يتون فيها عن ذكر انتهاكات الفرنسيين والروس والإنجليز، ومما قاله: "...فأنتم تعلمون ما أراد الأعداء وكيف صالوا على هدم دعائم الإسلام ولكن الله حافظ له .... يا أهل الإيمان أنتم ترون ما أصابكم من الأذى وتعلمون ما فعل وما يفعل أعداء الإسلام أعني الفرنسيين والإنجليز والرّوس ومن تبعهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ... كان الأعداء يريدون استئصال المسلمين من الأرض فعكس الله أمرهم..."[50].

نجد كذلك الشيخ "صالح الشريف التونسي" في محاضرة بعنوان: "فرنسا وذهب المرّاكشيين" قال فيها أن فرنسا لم تكتف بسوْقِ سكان شمال إفريقية من أهل تونس والجزائر ومرّاكش إلى ساحات الحرب ليكونوا طعاماً لنيران المدافع وليدافعوا عن فرنسا التي أذاقتهم العذاب ألواناً، لم يكفيها كل ذلك بل قد بلغ الإجحاف بهم أن كلّفتهم الآن بأن يعينوها بما لديهم من مال، فأعلن نائب الحكومة الفرنسوية في مراكش ما يأتي: " قد تأكد نائب الحكومة الفرنسوية في مراكش أنه يوجد في البلاد المراكشية مقدار عظيم من النقود الذهبية التي جلبتها عساكر الرديف معها من فرنسا وأن جزء من هذه النقود قد صرف وجزء صاغه العرب واليهود حلياً للنساء فكان ذلك سببا في ضياعه، لذلك على المركشيين ارجاعه[51] .

كما حاول حفيد الأمير عبد القادر "أحمد المختار الحسني الجزائري" أن يبرز الأبعاد الحقيقية للاستعمار الفرنسي للجزائر، فهي لم تستعمر الجزائر لتمدينها وترقية أبنائها بل أنّ "أول منافع فرنسا من اغتصاب وطنك العزيز هي الخزائن الطبيعية التي في بلادك من رجال أقوياء وتراب منبت ومعدن المبذول ... تلك الكنوز المدفونة والمستورة برداءة الجهالة والخمول"[52].

فسياسة التجهيل التي تطبقها فرنسا في الجزائر هدفها الهدف منها حسب حفيد الأمير عبد القادر إبقاء الجزائري في سباته، غير مدرك لحقوقه، فيقول: "... مواطني، لماذا مغتصب وطنك لا يعلمك التعليم الحقيقي حيث تكون قادر على الحياة بالهناء الذي يتمتع به الفرنسي؟ لأنك إذا تعلّمت العلم الصحيح تكشف ذلك الرداء عن الحقائق المستورة، وترى من الواجب

عليك فداء كل عزيز في سبيل الحياة الحرة ...ولابد أنك رأيت كثير بين إخوانك يجهلون اللغة العربية الشريفة لغة آبائهم وأجدادهم، تلك اللغة التي بها يفهمون الدين والقرآن الكريم والحديث الشريف..."[53].

ويذهب كاتب آخر وقع مقاله باسم "جزائري" أبعد من ذلك في شرح مخاطر السياسة الاستعمارية في المغرب العربي القائمة على مبدأ "فرق تسد" بين الأقطار المغاربية، و التفقير والتجهيل، فيقول: "...بلاد المغرب فهي وإن كانت متعددة الأسماء مثل مرّاكش، تونس، الجزائر، وطرابلس مختلفة الجبال والأودية والصحاري والسكان إلا أنها متحدة في الجنس متفقة في الدين واللغة والأصل، وما تلك الأسماء المختلفة إلا أسماء جغرافية أطلقها عليها الفرنسيون ليفرقوا وحدة سكانها، ويضعفوا من قوة إحساس أهلها وهم جميعاً واحدا في الأصل وبالذات..."[54].

6. خاتمة:

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن ألمانيا والدولة العثمانية في حربها الدعائية خلال الحرب العالمية الأولى قد اعتمدت على النخب العربية والمغاربية التي تسميهم الدراسات الأكاديمية بالوطنيين، الذين متشبعين بالفكر التحرري، ومؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية.

وقد كان هؤلاء الوطنيين الذين ينحدر أغلبهم من مصر وتونس والجزائر يعتقدون أن الوقوف إلى جانب ألمانيا والدولة العثمانية هو السبيل الوحيد لتخليص بلدانهم من ربقة الاستعمار. كما فهمت الدوائر الاستخبارية الألمانية – بفضل بعض منظريها خاصة ماكس فون أوبنهايم– تفكير هؤلاء الوطنيين، فاستقدمتهم إلى برلين ووفرت لهم المناخ الملائم للنشاط بهدف تعبئة الرأي العام الإسلامي ضد دول الوفاق.

ومن بين أشهر منابر الدعائية التي استخدمها الوطنيون العرب والمغاربة في برلين جريدة "الجهاد" التي احتضنت عديد المقالات والخطب الدعاية خاصة سنتي 1915م و 1916م، والدارس لمضمون مقالاتهم يلاحظ أن كتاباتهم تمحورت حول الترويج لفكرة الجهاد المقدس التي كانت قد صدرت فتوة بشأنه من طرف شيخ الإسلام، والسلطان العثماني "مُحَمَّد الخامس" في

بداية الحرب. ودعوتهم إلى الجهاد، وعدم موالاة الكفار كانت تهدف إلى محاولة إقناع المجندين المسلمين في صفوف قوات الوفاق بالفرار.

كما حاولوا من خلال كتاباتهم تلميع صورة ألمانيا، ووصفها بأنها صديقة للإسلام والمسلمين، والتحالف معها واجب، خاصة بعد موقفها المشرف مع أسرى الحرب في معسكر الهلال، وفي مقابل ذلك لا تكاد تجد مقال دون أن يتعرض صاحبه إلى السياسة القمعية للقوي الاستعمارية في أقطار العالم الإسلامي، خاصة سياسة التفقير والتجويع والتجهيل والتفرقة، فكل هذا في نظرهم يجعل من تحالف المسلمين مع ألمانيا والدولة العثمانية ضرورة تاريخية لا يجب تضييعها.

7. قائمة المراجع:

- الأرشيف:

- A. N. O. M, 9 H/ 5.

- A.N.T, Série E, carton 550, Dossier 30/15- 1914.

- Zentrum Moderner Orient, Berlin, No, 06-02-169.

- الجرائد:

- الجهاد ، 5 مارس 1915م.
- الجهاد، ع08، 11 جوان 1915م.
- الجهاد، ع 12، 02 أوت 1915م .
- الجهاد، ع16، 31 أوت 1915م.
- الجهاد، ع17، 20 أوت 1915م.
- الجهاد، ع34، 30 أفريل 1916م.

- المؤلفات:

– بلقاسم مُحَمَّد، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910- 1954م، البصائر الجديدة،ط1، الجزائر، 2013م.

– سنّو عبد الرؤوف ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية أولى"، في: بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، تنسيق مُحَمَّد مخزوم، أحمد حطيط، بيروت، 2002م،ص05.

–سنو عبد الرؤوف ، "الحركة العربية ودول الاستعمار ومصير الشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: شكيب أرسلان نموذجا"، في: لبنان في الحرب العالمية الأولى، ج2، منشورات الجامعة اللبنانية، لبنان، 2011م.

– نخبة من أفاضل الكتاب، تاريخ حياة طيّب الذّكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية، وضع برعاية نجل الفقيد الأكبر الأمير مُحَمَّد سعيد، مطبعة الترقي، دط، دمشق، 1918م.

– التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918م ، دار الجنوب للنشر،ط2، تونس، 2010م.

– يحياوي علاء الدين ، " الأسرى المسلمون في ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ذلك التاريخ المجهول"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، مجتمعات البلدان العربية: الأحول والتحولاّت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018م.

-Boukabouya Hadj Abdallah, Les soldats musulmans au service de la France, Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917.

- Bardin Pierre , Algériens et Tunisiens dans L'empire Ottoman de 1848-1914, éd : CNRS, Paris , 1979.

- *Gilbert Meynier , L' Algérie Rèvèlèe - La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx° siècle -, Librairie Droz, Genève,1980.*

-- *Heine. P, «Sâlih ash-Sharîf at-Tûnisî, a North African nationalist in Berlin during the first world war» In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Paris, n°33, 1982.*

- *Höpp Gerhad, »Zwischen allen Fronten, Der ägyptische Mansür Mustafâ Rifat 1883- 1926 in Deutschland », In:* أعمال ندوة مصر وألمانيا من خلال الوثائق, *pp 57-58, In : Zentrum Moderner Orient, Berlin, No, 04-04-008.*

- *Jennifer Jenkins, Heike Liebau and Larissa Schmid, « Transnationalism and insurrection: independence committees, anti-colonial networks, and Germany's global war », In : Journal of Global History, Cambridge University Press, V : 15, N° 01, 2020.*

الأطروحات:

- *Salvador Oberhaus, Deutshe Propaganda im Orient wahrend des Ersten Weltkrieges ,Hausarbeit zur Erlangung des Grades Magister Artium der Philosophischen Fakultat, der Heinrich Heine-Universitat Dusseldorf, 2002.*

- المقالات:

- أنده ورنير ، "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية (الجزائر)، ع 52 ، ديسمبر 1977م.

- أيت ميهوب علي، " أسرى الحرب المغاربيون لدى الجيوش الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى من خلال الأرشيفات الفرنسية"، مجلة روافد، جامعة منوبة – المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، (تونس)، ع 19. 2014م.

- حايد عقيلة ، "العلامة مُحَمَّد الخضر حسين من خلال مجلة حضارة الإسلام للدكتور مصطفى السباعي"، دراسات تاريخية، جامعة الجزائر ، (الجزائر)، المج 2، ع 1، أفريل 2014.

- حمادي الساحلي، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى"، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث والمعلومات، (تونس)، مج 11، ع 33- 34، جوان 1984م .

- ناصف عبد الحميد صبحي ، "هل من دور للاستشراق الألماني في تلبية الرغبات الاستعمارية؟"، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (سلطنة عمّان)، ع47، 2015م.

8. هوامش:

[1]- ماكس فون أوبنهايم (1860-1940م): هو مستشرق ألماني من أصل يهودي قام برحلات استكشافية في الكثير من مناطق العالم الإسلامي، أقام في مصر ما بين سنتي (1896م – 1908م)، كتب 12 مجلدا تمحورت حول كيفية استغلال ألمانيا للإسلام والجامعة الإسلامية في صراعها ضد بريطانيا وفرنسا، استطاع أن يربط علاقات صداقة مع عديد الشخصيات الفاعلة في العالم العربي، ونتيجة لكون الدعاية الألمانية ارتكزت على أفكاره لقب "بالآب الروحي للجهاد الإسلامي"، للمزيد أنظر: – عبد الرؤوف سنو،

"الحركة العربية ودول الاستعمار ومصير الشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: شكيب أرسلان نموذجا"، في: لبنان في الحرب العالمية الأولى، ج2، منشورات الجامعة اللبنانية، لبنان، 2011م، 435.

[2]- عبد الرؤوف سنّو، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية أولى"، في: بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، تنسيق مُحَمَّد مخزوم، أحمد حطيط، بيروت، 2002م،ص05.

[3]- عبد الحميد صبحي ناصف، "هل من دور للاستشراق الألماني في تلبية الرغبات الاستعمارية؟"، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (سلطنة عمّان)، ع47، 2015م، ص376.

[4]- عبد الرؤوف سنّو، "الإسلام في الدعاية الألمانية"، مرجع سابق، ص ص 6-5 .

[5] - Salvador Oberhaus, Deutshe Propaganda im Orient wahrend des Ersten Weltkrieges ,Hausarbeit zur Erlangung des Grades Magister Artium der Philosophischen Fakultat, der Heinrich Heine-Universitat Dusseldorf, 2002, p.35.

[6]- عبد الحميد ناصف، مرجع السابق، ص 372.

[7]- العجيلي التليلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918م، دار الجنوب للنشر، تونس، ط2، 2010، ص ص 225- 226.

[8]-لقد جاءت فتوى شيخ الإسلام على شكل سؤال وجواب، فإذا تعرضت البلاد الإسلامية لاعتداء أجنبي، ودعا السلطان إلى النفير العام وإلى الجهاد، "فصار بذلك الجهاد فرضاً على جميع الموحدين، وصارت مسارعتهم لذلك بالنفس والمال فرض عين"."وإذا تحقق من الروس والإنجليز والفرنسيين ومن ظاهرهم البغي والعدوان اليوم على الخلافة الإسلامية هاجمين (هكذا) بسفنهم الحربية وعساكرهم البرية على دار الخلافة وسائر البلاد المحروسة العثمانية ساعين والعياذ بالله تعالى لإطفاء نور الإسلام، فهل تكون مسارعة من تحت إدارة هذه الحكومات من عموم المسلمين للغزو ومعلنين الجهاد على تلك الحكومات فرضاً أيضاً أم لا؟"، فيجيب شيخ الإسلام: "نعم تكون مسارعتهم فرضاً". فحسب جواب شيخ الإسلام، فالجهاد واجب على كل المسلمين الخاضعين لسيطرة هذه القوى الاستعمارية لا يجوز تخلفهم، فما بالك الوقوف في صفهم. وهذا ما ووضّحه في جوابه عن السؤال: "وحينئذ فمسلمو تلك الحكومات المحاربة للحكومة الإسلامية هل يحرم عليهم شرعاً بصورة قطعية أن يحاربوا عساكر الحكومة الإسلامية، ولو أكرهوا بقتل أنفسهم وإفناء جميع عائلاتهم، ويستحقون إن فعلوا ذلك نار الجحيم كونهم قاتيلين أم لا؟"، جواب شيخ الإسلام: "نعم يستحقون ذلك". فحسب جوابه، فإنه مهما تعرض المسلمون لضغوطات المستعمر، وإن بلغ بهم الإكراه إلى درجة قتل

أنفسهم أو إبادة أهلهم فلا يجوز لهم موالاة العدو، وإن فعلوا فإنهم يستحقون نار جهنم. وكما لا يجوز مناصرة الأعداء على المسلمين، لا يجوز لهم كذلك محاربة المتحالفين مع الحكومة الإسلامية، وهذا ما تضمنه السؤال: " وحينئذ فالمسلمون الذين تحت إدارة حكومات الأنجليز وفرانسة والرّوس والسّرب والجبل الأسود ومن ظاهرهم في هذه الحرب الحاضرة لو حاربوا حكومتي ألمانيا والنمسا المظاهرين للحكومة السنية الإسلامية وكانت محاربتهم لهاتين الحكومتين تستوجب مضرة الخلافة الإسلامية، فهل يستحقون على ذلك عذاباً أليما لكونه إثما عظيماً أم لا؟". فكان جواب الشيخ: "نعم يستحقون ذلك؟. انظر نص فتوى شيخ الإسلام " خيري بن عون الأركوبي" في:

- A. N. O. M, 9 H/ 5.

[9]- علاء الدين يحياوي، " الأسرى المسلمون في ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ذلك التاريخ المجهول"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، مجتمعات البلدان العربية: الأحول والتحولآت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018م، ص ص 183- 184.

[10] -Lieutenant indigène Boukabouya (Hadj Abdallah), Les soldats musulmans au service de la France, Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917, p.63.

[11]- علي أيت ميهوب، " أسرى الحرب المغاربيون لدى الجيوش الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى من خلال الأرشيفات الفرنسية"، مجلة روافد، جامعة منوبة – المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، (تونس)، ع 19، 2014، ص 139.

[12] - Gilbert Meynier , L' Algérie Rèvèlèe - La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx° siècle -, Librairie Droz, Genève,1980,pp. 508-509.

[13]- الجهاد ، ع15 مارس 1915م، ص 1.

[14]- نفسه.

[15]- نفسه.

[16]- الجهاد،، ع17، 20 أوت 1915م.

[17]- الجهاد، ع34، 30 أفريل 1916م.

[18]- – علاء الدين يحياوي، مرجع السابق، ص 185.

[19] - Jennifer Jenkins, Heike Liebau and Larissa Schmid, « Transnationalism and insurrection: independence committees, anti-colonial networks, and Germany's global war », In : Journal of Global History, V : 15, N° 01, Cambridge University Press 2020, p 62.

[20]- الشيخ الخضر حسين: ينحدر من عائلة ذات أصول جزائرية من منطقة طولقة، ولد بمنطقة نفطة بتونس سنة 1876م، تلقى تعلمه بمسقط رأسه، ثم انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة ليلتحق بجامع الزيتونة، وبعد تخرجه تولى الخطابة والتدريس والقضاء، كما أسس جريدة "السعادة العظمى" سنة 1904م، وذلك خدمة للثقافة العربية الإسلامية، وفضح دسائس الاستعمار، والدعوة إلى اليقظة والتحرر الفكري، ونتيجة لخط الجريدة المعادي للاستعمار صادرتها الإدارة الاستعمارية بعد أقل من عام على صدورها، للمزيد عنه راجع: - عقيلة حايد، "العلامة مُحَمَّد الخضر حسين من خلال مجلة حضارة الإسلام للدكتور مصطفى السباعي"، دراسات تاريخية، جامعة الجزائر ، المج 2، ع 1، أفريل 2014، ص 111.

[21]- يبدو أن سبب عودته سبب عائلي وهذا ما توضحه رسالته إلى ناظر خارجية ألمانيا يخبره فيها أنه وصل برلين يوم 22 ماي 1915م، ويقول: " ...وقد قضيت الآن ما يزيد على أربعة أشهر في إلقاء دروس وخطب بين أسرى الحرب الإفريقيين مع تحريرات لائقة بالنشر، ولكنه وقع لي اشتياق إلى العائلة وأحببت أن أشاهد أحوالهم، فالمرغوب من جنابكم الإذن لي بالسّفر إلى الشام ولو لمدة معينة ..."، أنظر نص الرسالة في:

- Zentrum Moderner Orient, Berlin, No, 06-02-169.

[22]- حمادي الساحلي، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى"، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث والمعلومات،تونس، مج 11، ع 33- 34، جوان 1984م، ص 185.

[23]- يحياوي، مرجع السابق، ص 191.

[24]- صالح الشريف: ينحدر هو الآخر من عائلة ذات أصول جزائرية، هاجرت عائلته بعد احتلال الجزائر، ولد في تونس سنة 1862م، درس في جامع الزيتونة، ثم أصبح مدرساً فيه، هاجر إلى الأستانة سنة

1906م، وكان من أشد المدافعين على فكرة الجامعة الإسلامية، كلفه السلطان بعدة مهام، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى هاجر إلى ألمانيا لينشر الدعاية الألمانية العثمانية بين الأسرى، للمزيد انظر:

- Pierre Bardin , Algériens et Tunisiens dans L'empire Ottoman de 1848-1914, éd : CNRS, Paris , 1979,pp.190-191.

[25] -P. Heine, «Sâlih ash-Sharîf at-Tûnisî, a North African nationalist in Berlin during the first world war» In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Paris, n°33, 1982. p. 89.

[26]- اطلعنا في أرشيف أكس أون بروفانس (A.N.O.M) على بعض ما كتبه "صالح شريف" من مطبوعات مها: محاضرة مطبوعة كان قد ألقاها في "دمشق" في 8 جمادي الثانية 1333هـ/ 23 أفريل 1915م تحت عنوان: "مرارة الاحتلال" جاءت في 16 صفحة، تعرض فيها لمختلف الممارسات والجرائم الاستعمارية في تونس والجزائر، قسمها إلى خمسة محاور، وهي الاعتداء على الدين الإسلامي، واعتدائها على الأموال، وعلى الفكر والعلم، وعلى الوظائف. وكذلك منشور بعنوان: "بريطانيا العظمى وهذيانها الفعلي والقولي في حق الخلافة الإسلامية"، وهو منشور ردّ من خلاله على أحد الوزراء الإنجليز وهو "المستر لويد زورز" الذي أنكر أحقية العثمانية في الخلافة، وأن لا وجود لنظام الخلافة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلّم، فرّد عليه صالح شريف بأن الله أوجب على المسلمين في كل الأوقات أن يختاروا خليفة عن النبي ﷺ الذي هو خليفته عن الله لإقامة كل ما كان قائماً به من السياسة والإرشاد وإقامة العدل والاستعداد الحربي، وواجب كل فرد من أفراد الأمة طاعته والدّخول تحت رايته. وكذلك: كتاب المفتوح إلى السلطان المغربي "مولاي يوسف"، يدعوه فيه إلى الجهاد، للاطلاع على هذه المنشورات انظر:

- A .N.O.M : 9H5.6.

[27] -Heine, op-cit, p.91.

[28] – من بين المزابيين الأعضاء في اللجنة "بالزمايل بحا أحمد" عضو في المجلس البلدي وتاجر في قالمة، "باعلي علي" تاجر في قالمة كذلك، انظر:

- Notes et Rapports sur relations entre Les Nationalistes Algériens et Tunisiens 1920- 1923 ,In : A.N.T, Série E, carton 550, Dossier 30/15- 1914.

[29]- للمزيد حول نشاط اللجنة راجع: - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910- 1954م ، البصائر الجديدة، الجزائر،ط1، 2013م، ص ص 80-81.

[30]- من بين الوطنيين المصريين الذين كان لهم دور بارز في برلين منصور مصطفى رفعت باشا: ولد في 28 ديسمبر 1883م بالأسكندرية، درس الطب في الكلية السورية البروتستنتية في بيروت، ثم في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم في جامعة "جيفرسون" الطبية في فيلاديلفيا، كان من المؤسسين لحزب "الوطني" المصري سنة 1907م، غادر مصر سنة 1911م واسقر في فرنسا، وفي سنة 1913م التحق بجنيف بسويسرا، وصفه المؤرخ الألماني (Gerhad Höpp) بأنه راديكالي جدا في دعوته إلى استقلال بلاده مصر. وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى طرد رفعت من جنيف لانتهاكه الحياد السويسري، ليستقر في برلين واصبح في خدمة الدعاية الألمانية، بعد أن قدم معلومات عن الوضع العام في مصر ، وأقترح ارسال "عملاء هنود وألمان يتحدثون العربية إلى مصر لإعداد السكان للهجوم الألماني التركي على قناة السويس"، للمزيد عنه راجع دراسة المؤرخ الألماني:

- Gerhad Höpp, »Zwischen allen Fronten, Der ägyptische Mansür Mustafa Rifat 1883- 1926 in Deutschland », In: أعمال ندوة مصر وألمانيا من خلال الوثائق, pp 57-58, In : Zentrum Moderner Orient, Berlin, No, 04-04-008.

[31]- علاء الدين يحياوي، مرجع السابق، ص 189.

[32]- مجلة العالم الإسلامي: ظهر عددها الأول باللغة العربية في إسطنبول ابتداء من 06 ماي 1916م، وظهر العدد الأول منها في برلين باللغة الألمانية في 19 نوفمبر 1916م، شارك في تحرير هذه المجلة كبار المثقفين العرب والمسلمين أمثال الشيخ "عبد العزيز جاويش"، "وصالح الشريف" و"شكيب أرسلان"، وغيرهم، انظر: - ورنير أنده، "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ع 52 ، ديسمبر 1977م، 56.

[33]- علاء الدين يحياوي، المرجع السابق، ص 189.

[34]–نخبة من أفاضل الكتاب، تاريخ حياة طيّب الذّكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية، وضع برعاية نجل الفقيد الأكبر الأمير مُحَمَّد سعيد، دط، مطبعة الترقي، دمشق، 1918م،ص 112.

[35]– نفسه.

[36]– نفسه.

[37]– عبد العزيز جاويش، "مستقبل الإسلام"، الجهاد، ع09، 10 جويلية 1915م

[38]– نفسه.

[39]– الجهاد، ع08، 11 جوان 1915م.

[40]– مأمون أبو الفضل المدني، "خطابة السيد المأمون أبو الفضل المدني"، الجهاد،(برلين)، ع5، 27 أفريل 1915م.

[41]– الخضر حسين، "خطبة الشيخ الخضر حسين"، الجهاد، ع07، 20 ماي 1915م.

[42]– الخضر حسين، اتحادنا مع ألمانيا"، الجهاد، ع 13، 10 أوت 1915م.

[43]– جاويش، "مستقبل الإسلام 1"، الجهاد، ع09، 1جويلية 1915م، ص1.

[44]– أبو الفضل المدني، مصدر السابق.

[45]– الجهاد، ع 12، 02 أوت 1915م.

[46]– الجهاد، ع 17، 20 أكتوبر 1915م

[47].– الخضر حسين الجهاد، "خطبة الشيخ الخضر"، مصدر السابق.

[48]– الخضر حسين، "لا حياة إلا بالعلم"، الجهاد، ع 11، 21 جويلية 1915م.

[49]– جاويش، "مستقبل الإسلام 1"، مصدر السابق.

[50]– الجهاد، ع16، 31 أوت 1915م.

[51]– صالح الشريف التونسي، "فرنسا وذهب المرّاكشيين"، الجهاد، 4 نوفمبر 1915م.

[52]– أحمد المختار الحسني الجزائري، "صوت من الفؤاد في سبيل الحياة"، الجهاد، ع 38، 1 جويلية 1916م.

[53]– نفسه.

[54]– جزائري، "تحرير بلاد المغرب"، الجهاد، ع 56، 1 ماي 1916م.